

«السياحة الإسلامية» تجوب المدن الألمانية

استضافت الجهات الألمانية مندوب "السياحة الإسلامية" منير الفيشاوي الذي زار ست مدن ألمانية وكتب عنها التقرير التالي:

بداية الزيارة... فرانكفورت

والوصول إلى مطار فرانكفورت يعني بداية الرحلة المرتبة بدقة. فبرنامج الزيارة الممدد من قبل الحكومة الألمانية لجملة "السياحة الإسلامية" والمتمثلة في شخص كاتب هذه السطور، قد تم تجهيز وتدريب مواعيد التنقلات بين المدن ومقابلة المسئولين بالدقيقة والثانية قبل موعد السفر بأسابيع. وكل شئ منذ لحظة أن وطأت قدمي أرض مطار فرانكفورت يسير بسلاسة ويسر. فهذا المطار الضخم مجهز بكل ما يسهل مهمة الراكب. فاللافتات الإرشادية مكتوبة بعدة لغات لتقود إلى موقع ضابط الجوازات، والذي ينهي إجراءات الدخول في ثوان معدودة. ثم تقود لافتات أخرى إلى حيث التقاط الأمتعة والتي عادة ما تكون في انتظار الراكب لحظة وصوله ←

مبنى بلدية فرانكفورت الذي أفلتت من دمار الحرب.
The Municipality Building in Frankfurt was saved from the destruction of WWII.

ماذا نحن فاعلون ببلادنا مهد الحضارات والعلوم؟ ..
فها هم قد نهلوا منها حتى النعالة. وعلينا الآن أن نتعلم منهم- أو نعيد تذكركم- الكثير الكثير. وما يثير الانبعاث عند دخول المجال الجوي الألماني. وبداية مشاهدة الأراضي الألمانية بتضاريسها المختلفة. أنها سواء كانت جبلاً أو سهولاً، مرتفعات أو منخفضات فجميعها يميزها العمران والخضار. فاللون الأخضر هو الخلفية الدائمة لتلك اللوحات الفنية الطبيعية الخلابة. المتتابعة تتناثر في كافة أنحاء المدن والقرى بأحجام مختلفة. فالصحراء الجرداء ليس لها بقعة واحدة في هذه اللوحة الغنية. ولا الجبال أو التلال تخلو من مواطنيها المقيمين. وجميعها تربطها طرق معبدة على أعلى مستوى من الجودة والتخطيط.

اقترب موعد السفر إلى ألمانيا. وأخذت نسماته تهب حولي من كل جانب. وكالعادة انتابني حالة من التوتر. ولكن ذات طابع خاص محبب إلى نفسي. ذكرتني وتذكرتني دائماً بأول مرة غادرت فيها الوطن وكانت إلى بيروت منذ حوالي 30 عاماً. وكالعادة.. لا أهدأ إلا وأنا أربط حزام مقعدي بالطائرة. حيث أكون قد تركت ورائي كافة هموم العمل والأسرة والتحضير للمغادرة. لأبدأ رحلة عشقي وولعي الذي لا حدود له. ألا وهو السفر والترحال لكافة أصقاع الأرض. وسفرتني هذه المرة. هي سفرة إلى عالم الانضباط والذي كثيراً ما يثير مشاعر متناقضة من الإعجاب والاحترام والغبط وأحياناً الحجل. فكل شئ محسوب و"معمول حسابه" ودون هفوة. لدرجة تدفعنا نحن الزائرين العرب إلى مراجعة أنفسنا في "



سياحة مدن



نهر الراين.
The Rhine.

إليها ليلتقطها ويسير بها عدة أمتار، دون تفتيش أو جمارك- ولا هم يحزنون- ليجد الراكب نفسه خارج المنطقة الجمركية، لتبدأ مدينة فرانكفورت- أو بالأحرى ألمانيا- ترحب به، بل وتأخذ بين أحضانها.

إدينا.. تناديننا

وما أن غادرت المنطقة الجمركية، حتى بدأت أتلفت حولي.. فللقادم دهشة، ولكن أجهز على هذه الدهشة فقد تردد اسمي بميكروفون مطار فرانكفورت، وحين توجهت إلى استعلامات المطار وجدت في انتظاري وجهها بشوشا يرحب بي .. إنها فتاة في العشرينات من عمرها .. تدعى " أدينا " .. ولكن المفاجأة التي تمت بين " أدينا " هو أسمها بالكامل... إنه " إدينا محمد مراد شبانوفيتش " إنها فتاة ألمانية بوسنية الأب، بولندية الأم، تنكلم الألمانية- طبعاً- والإنجليزية والأسبانية.. وقليل من العربية، رافقتني بأدب جم وعواطف حميمة طيلة الأيام الأربعة الأولى من زيارتي لألمانيا، حيث توجهنا إلى مدن بادن بادن وهيدلبرغ وفيسبادن وفرانكفورت. ←



مدينة هيدلبرج.
Heidelberg.

للمرة الأولى. ولم يكن أمامي سوى مركز المدينة التجاري بمناجره المغلقة ومطاعمه المكتظة بأهل المدينة وزوارها. وقد لفت نظري أنه بالرغم من صغر هذه المدينة إلا أنها لا تخلو من مطاعم هندية ومصرية وسورية وإيطالية وغيرها.

وفي صباح اليوم التالي التقينا والمرشدة السياحية فيفيان بيك. والتي كانت تتحدث الإنجليزية والألمانية بطلاقة. لنكتشف بعد حوالي ربع الساعة أنها سيدة مصرية "بنت بلد" عاشت وتربت في حي باب اللوق بوسط مدينة القاهرة. إلى أن تخرجت من جامعة القاهرة. وأثناء خروجها من باب الجامعة حاملة شهادتها. خطف قلبها الولد كيبويد الألماني لتتزوج. وتنقل من باب اللوق. إلى هيدلبرغ. والتي حدثنا عنها بأنها مدينة أساساً للطلبة. حيث بها أكبر وأقدم جامعات ألمانيا. وهي جامعة هيدلبرغ. أعرق وأقدم جامعات ألمانيا تلك الجامعة التي يدرس بها خمس وعشرون ألف طالب. 51.50٪ منهم من الفتيات. وحوالي 40٪ منهم من الطلاب الأجانب من جميع الجنسيات تقريباً. وتمتاز تلك الجامعة بأن ثلاثة عشر من أساتذتها قد حازوا على جوائز نوبل في فروع مختلفة. يأتي في مقدمتهم ألبرت أينشتاين. وكذلك جوته الذي عاش بأحد الفنادق التي تصادف تواجدها في موقع حساس من المدينة. حيث كتب لأمه رسالة شهيرة قال فيها: "توقعي أن أعود إليك قادماً من هيدلبرغ. إما مؤمناً أو محتوئاً". والسبب في ذلك أنه كان في موقع متوسط ما بين الكاتدرائية التي كانت تراتيلها تتردد في أذنيه معظم وقت تواجده بمقر إقامته. ومن الناحية الأخرى صرخات رواد مستشفى الأمراض العقلية. ومن أشهر زوار مدينة هيدلبرغ الكاتب الأمريكي مارك توين. والفلاسفة هيجل وهولدرلين. وكذلك فريدريش إبيرت رئيس جمهورية فايمار (مدينة ألمانية حالياً).

ومن أعاجيب جامعة هيدلبرغ العريقة. هو أنه منذ حوالي مائة عام كان هناك سجن للطلاب تابع للجامعة. ختجز فيه الطلاب مثيري الشعب والخارجين عن القواعد. ضمن أصول معينة؟

.. وهيدلبرغ... مدينة القلعة

وتفتخر مدينة هيدلبرغ بقلعتها القديمة الحصينة. والتي حكى تاريخ الملوك والأباطرة والأمراء الذين تعاقبوا عليها. والقصور التابعة لها. وجميعها تطل على أحد الأنهار. في لوحة جميلة تجسد تاريخ هذه المنطقة من خلال النماثيل المنحوتة على بعض جدران القلعة والقصور التابعة. وتلك الشجرة النادرة التي تم إحضارها منذ مئات السنين من الشرق الأقصى لقارة آسيا. والتي ما تزال تورق حتى الآن أوراقا فريدة في شكلها وحجمها وعلى مدى قرون عديدة. وعند



The Municipality Building - Frankfurt.

دار البلدية - فرانكفورت.

فقط؟ فلم تستطع الإجابة على سؤالتي!! ثم وجهت نفس السؤال لمديرة السياحة. وأيضاً لم جد ما ترد به عن سؤالتي. وقد حاولت أن أرفع عنهما الحرج. فأشرت بأنه ربما لكثرة الحمامات الصحية بها. فنتهلل وجههما وأومأنا بالموافقة. إلا أن مديرة السياحة استطردت قائلة: لقد اكتشف الرومان مدينة بادن منذ حوالي ألفي عام. وبدأ "كركلا" في إقامة حماماتها الشهيرة. والتي تطورت الآن وأصبح أكبر حمام بها يحمل اسمه. وهذه الحمامات هي عبارة عن أحواض مليئة بالمياه ذات درجات حرارة مختلفة وغرف الاستحمام الحارة المليئة بالبخار (السونا) وأحواض للسياحة. وما على روادها سوى إتباع التعليمات بحذافيرها. بالبقاء لعدد معين من الدقائق بالأحواض والغرف المرتبة ترتيباً صحياً وهي 14 غرفة وحوماً. وتتراوح مدد البقاء بثلاث عشرة منها من خمس إلى خمس عشرة دقيقة. بينما الغرفة الرابعة عشرة والأخيرة. وهي غرفة معقمة مجهزة للنوم العميق بعد الانتهاء من الاستحمام. ليخرج من ارتادها إنساناً جديداً منتعشاً. مفعماً بالحيوية والنشاط. ومن أشهر زوار المدينة الرؤساء بيل كلينتون ونيلسون مانديلا وبوتين وغيرهم. وكذلك لاعب كرة المضرب (التنس) بوريس بيكر.

هيدلبرغ.. مدينة الجامعة

لحسن الطالع أن وصولنا لمدينة هيدلبرغ كان مصادفاً لأهم أيام العطلة الأسبوعية وهو يوم الأحد. فلم تكن هناك ارتباطات رسمية. ما دعاني لممارسة هوايتي في الهيام. وبصحبتي مرافقتي الودودة. ولكن لم يكن هيامي هنا هو كما تصوره بعض الخيلاء. وإنما أن أهييم على وجهي دون هدف في أي مدينة أو بلدة ارتادها

بادن بادن... مدينة المليونيرات

ومدينة بادن بادن مدينة صغيرة. ولكنها مشهورة بأن معظم مرتاديه من المليونيرات. ألمان كانوا أو أجانب على اختلاف مشاربهم. أما مآربهم فهي تتراوح ما بين صفقات العمل ولقاء كبار الساسة في أوقات معينة من السنة. حضور سباق الخيل الدولي الوحيد في ألمانيا. السياحة والاسترخاء. والتسوق " الغالي جداً". هذا بخلاف الاستمتاع بأعلى درجات النقاء البيئي- ربما- في العالم أجمع! وقد صرحت بريجيتا ميسر المديرة العامة للسياحة في مدينة بادن بادن لـ" السياحة الإسلامية" قائلة: " لقد حازت مدينة بادن بادن على شهادة في النقاء البيئي من الجمعية الدولية للبيئة. كما فازت المدينة أيضاً بجائزة " جوهره الخمس جوم" من الأكاديمية الأمريكية لعلوم كرم الضيافة. وكان لمدينة بادن بادن السبق في الحصول على هذه الجائزة" كمدينة "الأول مرة في تاريخ هذه الأكاديمية حيث سبق وأن منحت 1400 مرة لفنادق وشركات طيران وما شابه. ولكن ليس لـ" مدن"؟!

وتضيف مديرة السياحة بشأن السياح العرب قائلة: هناك أعداد من الزائرين العرب من الخليج يأتون لزيارة مدينتنا للاستمتاع بكافة مقوماتها السياحية سابقة الذكر. وكذلك للمنتجات الصحية وحمامات بادن بادن الشهيرة. وقد لاحظنا أنهم يفضلون الإقامة في البيوت عنها بالفنادق. ونحن مستعدون لتلبية احتياجاتهم في هذا الشأن.

بادن بادن.. وراحة الأبدان

وكلمة " بادن" تعني باللغة الألمانية " حمامات". وقد سألت مرافقتي إدينا: لماذا " بادن بادن" وليست بادن واحدة

تعمد مدينة هيدلبرغ على حركة السياحة بها بشكل أساسي. وهي مقصد رجال الأعمال والمهتمين بالمعارض المتخصصة التي تقام بها على مدار العام، هذا بخلاف مهرجانات القلعة وإنارتها بالألعاب النارية أول سبت من شهور: يونيو (حزيران)، يوليو (تموز)، سبتمبر (أيلول) من كل عام.



مدينة هامبورغ. Hamburg.

وغيرها، وما لا يتعارض مع إدارتها الأساسية، وإنما بالتنسيق معها، من أجل تخطيط مشترك يكفل لعملية السياحة تحقيق أهدافها في سهولة ويسر، وإذا ما اعترضتنا مشكلات، فنرفعها إلى جهات عليا، بل وقد وتصل إلى مناقشتها في البرلمان، حتى نجد لها حلاً شافيةً.

والحركة الدائبة للسياحة الألمانية قد أسفرت مثلاً في عام 1999 - على سبيل المحصر- 108 مليون ليلة سياحية للألمان وحدهم من ضمن حصر عام بلغ 326 مليون ليلة سياحية بالنسبة للسياحة الداخلية، أما السياحة الوافدة فقد حققت 37 مليون ليلة سياحية قام بأدائها 17 مليون سائح أجنبي إلى ألمانيا، هذا بخلاف قيام الألمان برحلات خارجية بلغت أكثر من 67 مليون سفرة (لأكثر من أربع ليال). مع العلم بأن تعداد المواطنين الألمان يبلغ حوالي 75 مليون نسمة (بخلاف حوالي 7.30 مليون أجنبي مقيم).

منظمو الرحلات والوكلاء

وإذا كانت هيئة السياحة تعنى أساساً بالسياسات، وكما ذكرنا تندرج تحت قيادتها 33 جهة مسؤولة عن كافة أفرع وأنشطة السياحة، فقد كان لزاماً علينا أن نزور إحدى هذه الجهات للتعرف على أحد أمثلة الأعمال التنفيذية في هذا الإطار، والتقينا سببيل زوخ مديرة العلاقات العامة بالهيئة الألمانية لوكلاء السفر ومنظمو الرحلات الجماعية، حيث ذكرت لنا بأن عدد أعضاء الوكلاء ومنظمو الرحلات هم حالياً 5168 شركة وهم أيضاً يحققون 70 - 80% من دخل السياحة بوجه عام، ودورهم كهئية جَاه أعضائها،

الإعلام في العالمين العربي والإسلامي مرجحين فائلين بالعربية التي يتكلمانها، " أخلاً، وسخلاً، بكم!!! " وكان لمتابعة الزميل والصدوق " ناجي عباس" رئيس جمعية الصحفيين العرب في ألمانيا، الفضل الكبير في ترتيب الزيارة على خير ما يرام.

حصاد الزيارة

والحصاد الأساسي لهذه الزيارة يتلخص في أن أي عمل مهما كانت نوعيته، ومهما بلغت درجة تعقده فلن يكتب له النجاح ما لم يعتمد على التخطيط الإداري والتنظيم العلمي السليم، ووضع الضوابط الكفيلة بتحقيق الأهداف المرجوة منه، في إطار من الجدية المتناهية، في ظل مجتمع يؤمن بأن الحقوق يقابلها واجبات، والعكس.

ومناخ العمل العام في ألمانيا يحقق تلك المعادلة بصورة تثير الإعجاب، فتنظيم العمل ومسؤولياته وجدية القائمين عليه، هي سر النجاح والتقدم المذهل لهذا البلد الذي عاد لبدأ أعمارته مرة أخرى من نقطة تتدن عن الصفر نفسه بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، ليعتلي القمة وينازع ويراحم عليها عمالقة القرن العشرين، في كافة المجالات، والأمثلة على ذلك كثيرة.

السياحة.. عالم فريد

تقوم الهيئة الاتحادية لصناعة السياحة الألمانية بالإشراف على إدارة كل ما هو متعلق بكافة شئون السياحة بألمانيا سواء كانت سياحة وافدة أو سياحة داخلية أو السياحة إلى خارج ألمانيا، وفي هذا الصدد انتقلنا إلى العاصمة برلين، حيث حدثنا أولريش روتر مدير هيئة السياحة قائلاً:

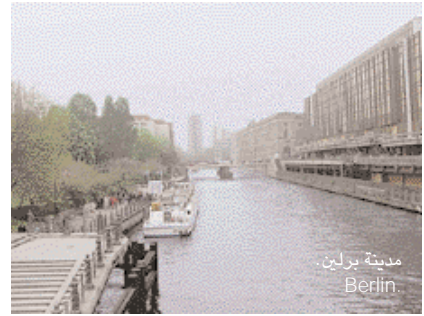
" إننا نهتم بتلك الأنواع الثلاثة من السياحة، واللاني جميعها تمثل حق أي مواطن في العيش بالطريقة التي يرى فيها متعته ويجدد من نشاطه، ومن جانبنا فنحن مسؤولون عن السياسات التي تحق رقابها المواطن في هذا الصدد، وكيفية أدائها بطريقة سليمة تحقق لبلدنا ومواطنيها وزوارها الأهداف المرجوة". ثم أضاف: "هناك 33 جهة رئيسية كبرى تندرج تحت إدارتنا، وتمثل في كافة المجالات ذات الارتباط أو التماس مع عملية السياحة مثل: المطارات، الموانئ، الطرق، وسائل النقل، الطيران المدني، الفنادق، منظمو الرحلات الجماعية، الضرائب، التأمين، المعارض، الجوازات، البنوك

الخروج من القلعة يواجه الزائرون أقدم مطعم بالمدينة وهو مطعم "شنوكرلوش" والذي يعود تاريخ إنشائه إلى العام 1703.

وتعتمد مدينة هيدلبرغ على حركة السياحة بها بشكل أساسي، وهي مقصد رجال الأعمال والمهتمين بالمعارض المتخصصة التي تقام بها على مدار العام، هذا بخلاف مهرجانات القلعة وإنارتها بالألعاب النارية أول سبت من شهور: يونيو (حزيران)، يوليو (تموز)، سبتمبر (أيلول) من كل عام.

حكاية الزيارة

وعلى الرغم من القول الخالد لكونفوشيوس: " ليس من سمع كمن رأى" إلا أن الأمر المتعلق بحصاد الزيارة لم يتوقف عند المشاهدة فحسب، وإنما كانت هناك العديد من الانطباعات التي تكونت من بين ثنايا الرؤى والمقابلات المكثفة التي تمت مع كثير من المسؤولين الألمان في مجالات السياسة والسياحة والاقتصاد والإعلام وغيرها، على مدى أحد عشر



مدينة برلين Berlin.

يوماً، والتي لا تتسع تفاصيلها لصفحات عدد واحد من المجلة، لذا فسوف نكتفي ببعض خلاصتها، ولكي يكون التسلسل والسرد منطقياً، فعلياً أن تأتي البيوت من أبوابها.

حيث تعود بداية الحكاية هنا إلى فبراير (شباط) 2002، ومؤتمر حوار الحضارات العربي الألماني والذي عقد بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة، والذي أسفر عن العديد من القرارات الإيجابية المشتركة بشأن القضايا العربية المطروحة، وكانت هذه القرارات بمثابة إجازة أساسية وقف وراءه من الجانب الألماني مثلاً مكتب الصحافة والإعلام بحكومة ألمانيا الاتحادية بيتر بوهلر مسؤول أفريقيا والمغرب والشرق الأدنى والشرق الأوسط، و د. راينهارد شفاينرز نائب الرئيس للشؤون الخارجية، وهما فارسا الإعلام الألماني ومن رجالات المستشار الألماني شرودر، والذي يعول عليهما كثيراً، ومن خلال حواراتي معهما في رحاب خان الخليلي والعبق التاريخي للقاهرة الفاطمية كانت مبادرتهمما لدعوتنا هي الصدى الفوري لعلمهما بصدور مجلتنا، وتواجدها على شبكة الإنترنت، وما كان هذا- فيما يخصنا- إلا تنويجاً لسعة الأفق التي يتمتع بها جَاه